وهو أول من جعل قاضيين بفاس الإدريسية وذلك أن القاضي الشريف مولاي محمد بن عبد الرحمن طلب من جلالته من يعينه في الأحكام فأجابه لذلك وعين العلامة أبا حفص الرندي وكان ذا صرامة في الأحكام، شديد الشكيمة على المتبدعين وأصحاب الفجور قاله في (المفاخر العلية والدرر السنية في الدولة الحسنية العلوية) وهذا المؤلف في مسودته بالمكتبة الزيدانية.

السلطان ابو علي
الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام

ولد عام ١٢٤٧ سبعة وأربعين ومائتين وألف حسبما وجد ذلك مقيدًا بخط قاضي الجماعة العلامة الثبت أبي العباس أحمد بن الطالب ابن سودة وذلك التاريخ يوافق سنة إحدى وثلاثين واثنتين وثلاثين وثمانمائة وألف ١٨٣١-١٨٣٢.

وبويع له بعد وفاة والده بمراكش عشية يوم الخميس الثامن عشر من رجب عام ١٢٩٠ موافق ١١ شتنبر سنة ١٨٧٣.

وتوفي بدار ولد زيدوح من بلاد تادلا ليلة الخميس ثاني ذي الحجة سنة ١٣١١ موافق سنة ١٨٩٤ وحمل للرباط وبه دفن مع جده السلطان محمد بن عبد الله بضريحه المشهور بالدار العلية.

من آثاره العظيمة بهذه الحاضرة تجديد دار القيطون وهي التي كانت محل سكنى المولى إدريس التاج باني مدينة فاس، وكان المكلف بالوقوف على بنائها نقيب الأشراف العلويين بفاس مولاي المأمون البلغيثي والد شيخنا العلامة خاتمة المحققين أبي العباس أحمد، قدس الله أرواحهم.

وفي أثناء العمل في هذا التجديد وقع اكتشاف محل هنالك كان المولى إدريس رحمه الله ورضي عنه يتعبد فيه ووجد به حصير متلأش وحجرة للتيمم وقد ضمن ذلك العلامة الأديب سيدي الفاطمي الصقلي رحمه الله في قوله:

قد فتح المعبد الشريف ... بسعد من قدره منيف
الحسن الوسم والمزايا ... الأروع الأورع العفيف
سلطان ذا المغرب المعلى ... من فضله وافر وريف
جدد دار القبطون..... ... غرب به قد ثوى الحنيف
مولاي إدريس من حماه ... يأوي إلى بابه الضعيف
فلاح فيها لدا شروع ... معبده الأنور النظيف
أعظم به آية نبدى ... من بها المالك اللطيف
أظهره الله بعد حجب ... لعلة أمرها ينيف
ظهوره والفتوح ساري ... إشارة رمزها الطيف
تلا ظهورًا فتح قريب ... لمالك للعلا حليف
دام له النصر والمعالي ... وتالد العز والطريف
ما أبرزت آية بفتح ... تاريخا (أوجه شريف) ١٣٠٥

صح كما وجد.

وقد نقشت هذه الأبيات في جبس بباب المعبد المشار، ويسكن هذه الدار الآن المتجالات من الشريفات ومن أخنى عليه الدهر أو فقد الولي والكافل منهن، وهي إلى اليوم حرم آمن لا يمس من التجأ إليها بسوء احتراما لبانيها.

ومنها تجديد القصور الملوكية الفخيمة بفاس، وتأسيس مشور الدكاكين بها وتسويره وتحصينه وجعل قباب به لجلوس الوزراء والأمناء ومباحات وبنائق وأسس بالجانب الجنوبي من صرحا أنيقا وبالجهة الشمالية سقايتين وأجرى بهما الماء وأنشا الكنيف الحاوي لعدة بيوت بوسط صحنه صهريج مستطيل للمتوضئين وأنشا المتنزه الأنيق وشيد منارة المدرسة هناك الموجودة الآن.

وشيد مشورابي الخصيصات الذي كان بعضه قبل مقبرة لليهود والطرف الآخر مأوى للحرس المتخذ من أهل الجبل فبعد أن عوض للذميين مقبرتهم شرع في تسوير ذلك المشور وبنى به مسجدًا ومنارة وعدة قباب وبيوتا ومباحات وجعل بوسطه صهريجا به خصص خمس، واحدة وسطه وبكل ركن من أركانه الأربعة واحدة.

كما اتخذ دورًا وقصورًا بالدار المرينية وبالأخص من الجهة الموالية لجامع المزهر الشهير بفاس الجديد.

ومن أعظم آثاره معمل السلاح؛ وكان تأسيسه له عام ١٣٠٨ بتخطيط المنهدس لوطري الإيطالي ذلك المعمل الذي يعد من أكبر المعامل وأفخمها وأكثرها إتقانا وأعظمها ضخامة بالديار المغربية إحياءً لما كان أسسه جده الأعلى المولى إسماعيل في الجملة فقد كان اتخذ دورًا للسلاح أودعها كل نفيس تحتوي على آلآف من المكاحل والمدافع والمهاريس والسيوف وقد تواتر عنه ذلك واشتهر في المشارق والمغارب وتحدث به الرحالون ودوَّنه الكاتبون حتى قال (جون وندروس) الإنجليزي في رحلته المعنونة بالسفر إلى مكناس المؤلفة بمناسبة بعثة الكمندار استيفار للمفاوضة مع المولى إسماعيل في مبادلة الأسرى وذلك عام واحد وعشرين وسبعمائة وألف مسيحية «بعدما شاهد دار السلاح الكائنة في الهري أسفل المنصور بالحضرة المكناسية» ما ترجمته:

قد توجهنا لمشاهدة دار السلاح البعيدة من القصر بربع ميل إنجليزي فرأينا هنالك عددًا كبيرًا من السلاح المخزون في الصناديق وثلاثة أسطر من السروج وقد أودعت بمحل خاص أبواب مدينة العرائش التي كان غنمها السلطان عند فتح المدينة المذكورة مع عدد كثير من السيوف وغيرها من مصنوعات الحديد ووجدنا السلطان راكبا على فرسه قريبا من باب دار السلاح وكان يحرس تلك الدار عشرون بحريا من أسرى الإنجليز ثم بعد ذلك أوقفونا على محل آخر نظيف جدًّا دائر بالسواري وكان

بوسطه صهاريج من رخام يجري فيها لماء على الدوام ورأينا بعد ذلك دارًا أخرى للسلاح ويقال: إن مال السلطان يوضع هنالك كذلك وهنالك بيوت عظيمة مملوءة بالبنادق وفي وسطها رمح كان أهداه أحد ملوك الهند له في ربيعة من زجاج ورأينا هنالك أنواعا كثيرة من أسلحة أخرى منها قرابيلات من نحاس ودروع ويظهر أن ذلك كله لم يكن من مصنوع المسلمين وإنما غنموه من النصارى حين ما كانوا يحاربونهم وخصوصا الأصبان والبرطقيز ووجدنا في آخر تلك البيوت عددًا كثيرًا من السيوف الحسنة جلها أُخذ من النصارى ويظهر أن هذا السلطان عنده من السلاح ما لا يملكه غيره من الملوك.

ثم قال المؤلف المذكور: وشاهدنا قبة عجيبة الصنع سقفها مصبوغ بالأزرق فيه نقط ذهبية تمثل النجوم وفي وسطها دائرة من الذهب تمثل الشمس وقببا أخرى كثيرة كان يودع بها ما تهديه إليه ملوك النصارى من التحف وهنالك أيضا كان يودع سلاحه وما عنده من المصنوعات المتقنة فوجدنا في إحدى القبب سبع أو ثمان عربات وفي أخرى حسكات كان أهداها له الملك جورج الإنجليزي صحبة سفيره.

قال: ومن الغريب أن له عددًا كثيرًا من المطامر لخزن الزرع والبارود والسلاح، قال: ووجه السلطان معنا بعض قواده إلى بناء عظيم كان مملوءًا بالصناع فيهم الرجال والشبان والأطفال الكل يشتغل بصنع السروج وريات البنادق وأغمدة السيوف فلما رأوا السفير جدوا كلهم في العلم ليظهروا له مقدرتهم على العمل وإتقان الصنائع بقصر السلطان هـ. وناهيك بها من شهادة ما أعظم وقعها.

ومنها جلبه لأنواع من المدافع من مختلف بلاد أوربا من ذلك المدفع الموجود بدار الآثار من هذه العاصمة المنقوش فيه حفرًا ما لفظه: هذه صنعت للإمام العال المنصب، السلطان المؤيد الهمام بالمغزب، المحلى بالعز والتمكين، والظرف المتين، أمير المؤمنين الحسن بن محمد ابن أمير المؤمنين هـ.

ومنها تجديد باب السبع سنة ١٣٠٢ يدل لذلك ما هو منقوش في زليج أعلا قوسه المقابل لفسيح باب معمل السلاح المذكور، ولفظه:

تجديد سعدي بأيدي العز مرتفع ... وعند قوسي جنود النصر تجتمع
فانظر مشيد ضريح في العلا حسنا ... لاحت عليه بروق النصر تلتمع
حين ابتدعت بأمر جل مصدره ... فخر الملوك الذي حزت به البدع
براعة السعد في رسم يتوجها ... (باب السباع أقام سعده سبع)

وتأسيس الباب المقابل له من الجهة الغربية عام ثلاثة وثلاثمائة وألف يشهد لذلك مانقش في زليج بأعلا القوس من الجهة المقابلة لدكاكين الباعة بباب الساكمة، ولفظه:

باب السعادة أشرقت أنوارها ... لما ارتقت أوج العلا أسوارها
قامت بسعد مليكنا (الحسن) الرضى ... فعلا به فوق السها مقدارها
لا زال نصر الله منها داخلًا ... لجناب من عزت به أنصارها
والعز والتمكين يغشاه بها ... حتى تتم لنفسه أوطارها
ما قال سعد تمامها تاريخها ... (كملت مبان بابها آثارها ١٣٠٣)

وتأسيس دويرة بباب العودة تسمى الآن دويرة الحطب.

كما أسس ببستان آمنة المرينية قصورًا شاهقة وصروحا شامخة ودورًا أنيقة.

وأسس مشور باب البوجات وكان تسويره له على يد وصيفه البشير الحبشي والأمين الحاج عبد الرحمن الحلو.

وسور شارع أبي الجنود الذي أصبحت به المدينة البيضاء متصلة بفاس الإدريسية وقد كان بينهما قبل تمام الانفصال.

وسوَّر المحل الذي به المدرسة الثانوية الآن وما حوله وأنشأ بستانا به وحدائق غناء

وغرس بذلك أشجار عديدة.

وأسس القصبة التي بها المهندس البلدي الآن ولما أسسها أنزل بها لفيفا من أهل الريف لحراسة ذلك البستان وما حوله.

وأسس الدار البيضاء البديعة الشكل العجيبة الصنع مسكن المقيم العام الآن عندما يزور فاسا.

وسوَّر جنان أكدال الخارجي الذي أُنشأ به اليوم محل التوليد وغيره من المؤسسات الجديدة، وجدد القبة البالغة الغاية في جمع فنون شتى من الفن الجميل الكائنة بالبستان المذكور وأعاد لها زهرة شبابها بعد الذبول.

وأسس بستان السباع، وهذا كله تحت إشراف أمينه الحاج عبد السلام المقري ونجله الحاج محمد صدر الدولة اليوم، دام احترامه.

وأسس قبة ضريح أبي العباس أحمد البرنسي، وأصلح سقف قبة الضريح الإدريسي وجدد تزويقه وتنميقه وبالغ في زخرفته.

وأعاد تجبيس الضريح الإدريسي يدل لذلك ما هو منقوش في الجبس بأحرف بارزة على الجدار الغربي لقبة الضريح من الجهة الموالية للصحن، ولفظه:

انظر إلى ما حزت من رفعة ... واخضع لمقداري تفز بسالوطر

(فحسن) لما غدا متحفًا ... جانبنا أضحى سريع الظفر

وشيد قبة الولي الصالح سيدي أحمد بن يحيى وبنى مسجده وصومعته وذلك سنة عشر وثلاثمائة وألف، وكذا أنشأ قبة سيدي يحيى بن علال العمري الشهير بالغسال عند العامة القريبة من قبة سيدي علي بن حرزهم خارج باب الفتوح، وكذا أنشأ قلعة تاجانة التي بحدود أرض الحيانية إحدى القبائل المجاورة لفاس، وتدارك بالإصلاح والترميم ما تلاشى أو كاد من الأضرحة على يد الأمينين المذكورين، ووسع غراسة

جنان عين الخميس.

ومن آثار نهضته العلمية بعثه البعوث من نبغاء دولته لتلقي العلوم الحربية والرياضية بمصر ومختلف دول أوربا طبق ما أوضحناه في مؤلفنا في نظام الدولة.

وممن كان وجهه لإتمام دروسه الطبية بمصر الطبيب الماهر أبو محمد عبد السلام العلمي حسبما صرح بذلك في ديباجة مؤلفه البدر المنير المشار له حيث قال: وقد جمعت له هذا التقييد من عدة كتب ورصعته بأعمال الطب الجديد حسبما حضرناه في الاسبطالية الكبرى بمصر القاهرة بمدد مولانا المنصور بالله من أحيا موات العلم بهمته السنية، ونشر رميم الفضائل بآرائه السنية. ظل الله الممدود على الأقطار المغربية، وغيثه المسكوب بالشفقة على الرعية، السلطان بن السلطان مولانا الحسن أدام الله أيامه الزاهرة، وجمع له بين خيري الدنيا والآخرة».

ومنهم الطاهر أبو الحاج الأودي الأصل الفاسي النشأة والدار الجغرافي أحد نجباء البعثة الحسنية الموجهة في ذي القعدة الحرام عام ١٢٩٠، لتلقي العلوم الرياضية بالبلاد الأوربية وقد تخرج بفرنسا واستخدم بدار السلاح بفاس ولم يزل به إلى أن تعطل العمل فيه عند انتهاء الدولة العزيزية ولا زال بفاس حيا يرزق، وله خريطة لجغرافيا الأرض على نصفين نثبت رسمها هنا إفادة للقراء الألباء.

ومن آثاره العلمية أيضا الجاري نفعها طبعه بالمطبعة الحجرية الفاسية لتأليف خواجة الطوسي في تحرير أصول الهندسة لإقليدس على يد باشا العاصمة الفاسية الطالب عبد الله بن أحمد معتق السلطان أبي الربيع سليمان وكان طبعه له عام ثلاثة وتسعين ومائتين وألف.

ومنها طبعه لشرح الإحياء للشيخ مرتضى الزبيدي آخر الحفاظ، وذلك عام أربعة وثلاثمائة وألف وحبس عددا وافرا منه على يد القرويين.

وأمره بطبع شرح الشيخ ميارة الصغير على المرشد المعين وذلك عام اثنين وتسعين ومائتين وألف ١٢٩٢.

وأمره لشيخه أبي العباس أحمد ابن الحاج السلمي بتأليف تاريخ في الدولة العلوية ومدَّ له يد الإسعاف والمساعدة على ذلك فألف (الدر المنتخب المستحسن) يزيد على خمسة عشر مجلدًا، ومات قبل إتمامه، بالمكتبة الزيدانية منه مجلدات تسع.

وأمره للعلامة السيد محمد بن إبراهيم السباعي المراكشي بوضع تاريخ في دولته العلوية فامتثل ما أُمر به ووضع مؤلفه المسمى بـ(البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد بعض مآثر السلطان مولانا الحسن)، حسبما صرح بذلك في ديباجته، ونسخة منه توجد تحت عدد ١١٣٨ بالمكتبة الزيدانية عليها خط مؤلفها.

وأمره لكاتب حضرته أبي العباس أحمد بن عبد الواحد ابن المواز بتأليف كتاب في الاستدلال على صحة الكيميا فألف في ذلك رسالته المعنونة بـ(مطلع الضيا في الاستدلال على صحة الكيميا)، وكان تأليفه لهذه الرسالة على ما صرح به عام سبعة وثلاثمائة وألف.

وإنشاؤه قراءة المختصر الخليلي بعد صلاة العصر بالقرويين وردًا كل يوم بحيث يختم مرة في الشهر، ولا زال العمل جاريا بذلك إلى اليوم، وجعل جُعلا لكل من يحفظه ويمليه عن ظهر قلب وينظمه في سلك أهل الطبقة الرابعة من العلماء. كما كان أنشأ قراءته بمكناس حسبما أوضحنا ذلك في مؤلفنا (النهضة العلمية).

ومن ذلك إحياؤه لقراءة حزب الشاذلي بعد كل صبح وقراءة البردة ضحى كل جمعة بالضريح الإدريسي وبذله العطاء للقائمين بذلك مشاهرة حسبما ترى في نسخة مسجلة من الظهير الذي أصدره لقاضيه على فاس يأمره بإحياء ذلك وتعيين من يقوم به من أهل الخير، ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطاني بداخله «الحسن بن

محمد الله وليه»:

«الفقيه الأرضى القاضي السيد حميد بناني سددك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد؛ فقد أخبر المحتسب أن الجماعة التي كانت تقرأ في القديم حزب الشاذلي بالضريح الإدريسي نفع الله به والجماعة التي كانت تقرأ بردة المديح ضحى يوم الجمعة فيه صاروا إلى عفو الله؛ وعليه فنأمرك أن تعين ستة أناس من أعيان المنتسبين أهل النية والخير بقصد قراءة الحزب الشاذلي هناك وحضهم على القيام بقراءته في المحل المعين له بعد صلاة الصبح على المنهج الشرعي بسكينة ووقار ومراعاة أدب مع صاحب ذلك الحرم، وقد عينا لكل واحد منهم في أجرته على ذلك خمسين أوقية مشاهرة من دار عديل إن لم يكن لمن كان يقرؤه قديما حبس خاص وإلا فالعمل على ما كان قديما كما نأمرك أن تعين عشرة أناس آخرين كذلك بقصد قراءة بردة المديح ضحى يوم الجمعة في الضريح المذكور وقد عينا لكل واحد منهم في أجرته عشرين أوقية مشاهرة من دار عديل، وها نحن أمرنا المحتسب بإلزام الذكارة أهل السماع الحضور معهم في الوقت المعين على العادة لكون ذلك من وظيفه كما أمرنا أمناء الصائر السعيد وفره الله بدار عديل أن يدفعوا ما تجمل في ذلك من الخمسين مثقالا مشاهرة لمن عينت له على يدك وهاكتبانا الشريف لهم بذلك يصلك طيه فقف في ذلك وكن تتعاهده حتى لا يقع فيه تفريط والسلام في ١٤ شعبان الابرك عام ١٣٠٤» وبعده بخط من يجب: استقل انتهت قابلها بأصلها فما ثلته وأشهده الفقيه الأجل، العالم العلامة الأفضل، قاضي الجماعة بفاس الغراء المصونة ونواحيها وهو أحمد بناني أعزه الله تعالى وحرسها باستقلال ما نص لديه الاستقلال التام لديه بواجبه وهو دامت كرامته واتصلت سعادته بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر، وفي سابع رمضان المعظم عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف عبد ربه تعالى وأسير ذنبه فلان بشكله ودعائه وفلان بشكله ودعائه.

ومن اعتنائه بالعلم وإعلائه لقدر العلماء ظهيره الشريف الذي أصدره للقاضي الشهير الشيخ المهدي ابن سودة وقرابته بالتوقير والاحترام اعترافا بأياديه على العلم وملازمته للدروس السلطانية الحديثية مع هذا السلطان ووالده وجده من قبل، ونص نسخة منه مسجلة بعد الحمدلة ثم الطابع السلطاني بينها وبين الافتتاح بداخله «الحسن بن محمد الله وليه»:

«كتابنا هذا اسمى الله قدره، وقرن بالسعادة طيه ونشره، واطلع في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره، يستقر بيد ماسكه محبنا وشيخنا وشيخ والدنا وجدنا قدسهما الله الفقيه العالم المشارك الدراكة القاضي المحدث في حاز قصبة السبق في العلم والتحقيق، وسمى في سماء التحصيل والتدقيق، أبي عبد الله السيد محمد المهدي بن الطالب ابن سودة المري ويتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، أنا جددنا له على ما بيده من ظهير مولانا الوالد قدس الله روحه في أعالي الجنان، وأفرغ على ضريحه شئابيب الرحمة والغفران، المتضمن إسبال سابغ أردية الحرمة والعناية، والتوقير والرعاية، عليه وعلى إخوته الفقيهين السيد محمد والسيد أحمد والطالب السيد عبد القادر وأولاده وأولاد إخوته المذكورين وأولاد شقيقهم المرحوم الفقيه السيد عمر وحمل الكل على كاهل المبرة والإعظام، والرعى الجميل المستدام، ومحاشاتهم مما عسى أن يخطر ببال من يريد تكليفهم بما يكلف به العوام، رعاية لمنصب العلم الشريف، وما هم عليه من صميم المحبة لهذا الجناب العلي المنيف، وملازمة الشيخ قراءة صحيح الإمام البخاري كل سنة سردا ودرسًا مع سيدنا الجد والوالد رحمهما الله وصار معنا كذلك كما كان معهما تجديدًا، زاد ما قبله إقرارًا وتأكيدًا، فعلى الواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا أن يقدر قدره، ويعرف له شرف العلم وفخره، وأن يجريه ومن ألحق به على هذا السنن المقرر، والأمر المحتم المسطر، صدر به أمرنا الشريف المعتز بالله في ثاني ذي الحجة الحرام عام ١٢٩٠»هـ.

وبعده: استقل، وبعده بخط من يجب أمنه الله بمنه: استقل، انتهت قابلها بأصلها فما ثلثه وأشهده الفقيه الأجل، العالم العلامة الأمثل، النحرير المحرر الأكمل، الجهبذ السميذع الأنبل، قاضي الجماعة بحضرة فاس الإدريسية الغراء ونواحيها وهو عبد الهادي الصقلي الحسيني أعزه الله تعالى وحرسها باستقلال نسخة الظهير الشريف المنصوص لديه الاستقلاق التام لديه بواجبه، وهو حفظه الله تعالى وأكرمه بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر وفي سابع وعشري جمادى الأولى عام ستة وثلاثمائة وألف فلان بشكله ودعائه وفلان بشكله ودعائه.

وفي هذا السلطان يقول أبو محمد عبد السلام بن محمد الشريف العلمي المذكور:

بأميرها الشهم الجواد ... فاس تفوق على البلاد
ولها الإله به بنى ... مجدًا على أقوى عماد
مجدًا يكاد بناؤه ... يعلو على السبع الشداد
والعلم فيها آخذ ... في كل وقت في ازدياد
ربحت تجارته فما ... يخشى عليه من كساد
ملك له انطوت القلـ ... ـوب على المحبة والوداد
(حسن) الصفات ومذبدا ... ما حاد عن نهج السداد
كالغيث في يوم الندى ... والليث في يوم الجلاد
ورث الملوك فخارهم ... وعليهم أربى وزاد
لا زال فينا حكمه ... يبدي معالم للرشاد